التواضع والتكبر

التواضع

هو احترام الناس حسب أقدارهم، وعدم الترفع عليهم. وهو خلق كريم، وخلّة جذابة، تستهوي القلوب، وتستثير الاعجاب والتقدير.

التواضع صفة أخلاقية حميدة، لأنه يعبر عن سمو النفس ورفعتها، فالتواضع ـ كما عرفه علماء الأخلاق ـ هو اللين مع الخلق، والخضوع للحق، وخفض الجناح.

التواضع في الإسلام

أولى الإسلام أهمية بالغة لصفة التواضع بلحاظ كونها قيمة كمالية، يَتَحَتَّمُ على العبد أن يبذل جهدا في كسبها والتَّحلّي بها، وفي مقابل ذلك ذمّ التكبر الذي يقابله.

التواضع في القرآن

رغم عدم ورود لفظة **التواضع** في القران الكريم، إلا أنّ المولى تعالى قد تطرق لقيمة **التواضع** وبَيَّنَ أهميتها من خلال ذمّ ما يقابل التواضع وهو التكبّر، كما أيضا عبّر عن قيمة التواضع من خلال الوصف والكناية.

- قال تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا)،فالهون هو التذلل والتواضع .
- قال تعالى : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)
- قال تعالى : (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) حيث ذكر تعالى ما يناقض التواضع وهو التكبر ليؤكد على أهمية التواضع

التواضع في الروايات

أشاد أهل البيت عليهم السلام بشرف هذا الخُلُق، وشوقوا إليه بأقوالهم الحكيمة، وسيرتهم المثالية، وكانوا روّاد الفضائل، ومنار الخلق الرفيع.

- قال النبي صلّى اللّه عليه وآله: "إن أحبكم إليّ، وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً، أحسنكم خُلُقاً، وأشدكم تواضعاً، وإن أبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون وهم المستكبرون.
- قال الامام علي (ع): **اربع لا يعطيهن الله إلا من يحبه: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله،والتواضع، والزهد في الدنيا. .**
- عن الصادق (ع) قال: إن في السماء ملكين موكلين بالعباد،فمن تواضع لله رفعاه،ومن تكبر وضعاه.

وجدير بالذكر أن التواضع الممدوح، هو المتسم بالقصد والاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فالاسراف في التواضع داع الى المهانة، والتفريط فيه باعث على الكِبر والأنانية.

وعلى العاقل أن يختار النهج الأوسط، ، وذلك: باعطاء كل فرد ما يستحقه من الحفاوة والتقدير، حسب منزلته .

لذلك لا يحسن التواضع للانانيين والمتعالين على الناس.

إن التواضع والحالة هذه مدعاة للذل والهوان، وتشجيع لهم على الأنانية والكبر، كما يقول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

آثار التواضع

لكل فضيلة يزكي بها العبد نفسه آثارها التي تظهر عليه حين تكون التزكية خالصة لله سبحانه وتعالى،وكذلك التواضع له آثاره منها:

- **الحكمة**:قال الكاظم(ع) :« الحِكمَةُ تَعمُرُ في قَلبِ المُتَواضِعِ، ولا تَعمُرُ في قَلبِ المُتَكبِّرِ الجَبّارِ ؛ لأنّ اللّهَ جَعلَ التَّواضُعَ آلَةَ العَقلِ، وجَعَلَ التَّكبُّرَ مِن آلَهِ الجَهلِ»
- **المحبة**:قال عليٌّ (ع) :«ثَمَرَةُ التَّواضُعِ المَحَبّةُ» .
- **الرفعة**:قال الرسول (ص):«مَن تَواضَعَ للّهِ رَفَعَهُ اللّهُ، فهُو في نَفسِهِ ضَعيفٌ وفي أعيُنِ النّاسِ عَظيمٌ، ومَن تَكبَّرَ وَضَعَهُ اللّهُ، فهُو في أعيُنِ النّاسِ صَغيرٌ وفي نَفسِهِ كَبيرٌ .

- **كمال العقل**:قال علي(ع):«كمال العقل في ثلاثة:التواضع لله,وحسن اليقين،والصمت إلا من خير»[

علامات التواضع

للتواضع علامات يُعرف بها المتواضعون، منها :

- المبادرة بالسلام لكل من يمر بطريق المرء
- الجلوس في آخر المجلس
- البِشر بالكلام
- الرفق بالسؤال
- إجابه الدعوة
- والسعي في حاجات الآخرين
- أن لا يرى المرء نفسه خيرا من غيره.
- ان يكره الرياء والسمعة

التكبر

هو حالة تدعو الى الاعجاب بالنفس، والتعاظم على الغير، بالقول أو الفعل، وهو من أخطر الأمراض الخلقية لذلك تواتر ذمه في الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(لقمان:18).

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾(الاسراء:37).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(النحل:23).

المؤمن يجب ان يجمع بين العزة الإيمانية والتواضع ولهذا عندما رأى البعض الامام الحسن (ع) رأى وقاره ،رأى ثقله رأى هيبته قال ان فيك كبر

قال (ع) كلا الكبر لله عز وجل ولكن فيَّ عزة

العزة غير التكبر

ولهذا المؤمن في القران الكريم عزيز حتى لو صار فقيرا

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف المؤمن عزيز باطنه حتى مشيته مشية العزة ولهذا بعض مراجعنا ،علمائنا يمشي مشيته تشبه من ناحية مشية الأمراء ولكن الفرق ذاك تكبر وهذه عزة

قال تعالى﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

بواعث التكبر

الأخلاق البشرية كريمة كانت أو ذميمة، هي انعكاسات النفس على صاحبها، وفيض نبعها، فهي تُشرق وتُظلم، ويحلو فيضها ويمرّ تبعاً لطيبة النفس أو لؤمها، استقامتها أو انحرافها. وما من خلق ذميم إلا وله سبب من أسباب لؤم النفس أو انحرافها.

فمن أسباب التكبر: مغالاة الانسان في تقييم نفسه، وتثمين مزاياها وفضائلها، والافراط في الاعجاب والزهو بها، فلا يتكبر المتكبر إلا اذا آنس من نفسه علماً وافراً، أو منصباً رفيعاً، أو ثراءً، أو جاهاً ، ونحو ذلك من مثيرات الأنانية والتكبر.
وقد ينشأ التكبر من بواعث العداء أو الحسد أو المباهاة، مما يدفع المتصفين بهذه الخلال على تحدي الأماثل والنبلاء، وبخس كراماتهم، والتطاول عليهم، بصنوف الازدراءات الفعلية أو القولية.

أنواع التكبر

وينقسم التكبر باعتبار مصاديقه الى ثلاثة أنواع:

1- التكبر على اللهّ عز وجل:

وذلك بالامتناع عن الايمان به، والاستكبار عن طاعته وعبادته. وهو أفحش أنواع الكفر، وأبشع أنواع التكبر، كما كان عليه فرعون ونمرود وأضرابهما من طغاة الكفر وجبابرة الالحاد.

2- التكبر على الأنبياء:
وذلك بالترفع عن تصديقهم والاذعان لهم، وهو دون الأول وقريب منه.
3- التكبر على الناس:
وذلك بازدرائهم والتعالي عليهم بالأقوال والأفعال، ومن هذا النوع التكبر على العلماء المخلصين، والترفع عن مسائلتهم والانتفاع بعلومهم وارشادهم، مما يفضي بالمستكبرين الى الخسران والجهل بحقائق الدين، وأحكام الشريعة الغراء

علاج التكبر

وحيث كان التكبر هوساً أخلاقياً خطيراً ، فجدير بكل عاقل أن يأخذ حذره منه، وأن يجتهد - إذا ما داخلته أعراضه - في علاج نفسه، وتطهيرها، وإليك مجملاً من النصائح العلاجية:
1- أن يعرف المتكبر واقعه وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز: فأوله نطفة قذرة، وآخره جيفة منتنة، وهو بينهما عاجز واهن، يرهقه الجوع والظمأ، ويعروه السقم والمرض، وينتابه الفقر والضُّر، ويدركه الموتُ والبِلى، لا يقوى على جلب المنافع وردّ المكاره، فحقيق بمن اتصف بهذا الوهن، أن ينبذ الأنانية والتكبر، مستهدياً بالآية الكريمة ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(القصص:83).
فأفضل الناس أحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم نفعاً، وأشدّهم تقوى وصلاحاً.ء
2- أن يتذكر مآثر التواضع ومحاسنه، ومساوئ التكبر وآثامه، وما ترادف في مدح الأول وذم الثاني من دلائل العقل والنقل،
3- أن يروض نفسه على التواضع، والتخلق بأخلاق المتواضعين، لتخفيف حدة التكبر في نفسه، وإليك أمثلة في ذلك:
أ- جدير بالعاقل عند احتدام الجدل والنقاش في المساجلات العلمية أن يذعن لمناظره بالحق إذا ما ظهر عليه بحجته، متفادياً نوازع المكابرة والعناد.

ب- أن يتفادى منافسة الأقران في السبق إلى دخول المحافل، والتصدر في المجالس.

ج- أن يخالط الفقراء والبؤساء، ويبدأهم بالسلام، ويؤاكلهم على المائدة، ويجيب دعوتهم، متأسياً بأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.